

نصوص لـ اخوان الصفاء حول فلسفتهم السياسية في

مخطوطة لابن منكلى

تحقيق ودراسة

د. محمد فريد حجاب

لقد وقفت على أمر مخطوطة ابن منكلى « الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية » حينما كنت أطلع منذ بضعة سنين بعض النصوص التى نقلها استاذنا الدكتور عز الدين فودة — أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة — من عدد من المخطوطات الموجودة بدار الكتب المصرية . فقد لاحظت أن بعض النصوص فى مخطوطة ابن منكلى حول معنى السياسة وأقسام العلوم السياسية متشابهة تماما مع بعض نصوص رسائل اخوان الصفاء حول نفس الموضوع . وقد رجعت الى النسخة الوحيدة من هذه المخطوطة بدار الكتب المصرية — تحت رقم ٢٣ فروسية تيمور — ووقفت على كافة النصوص الموجودة بها والمطابقة لنصوص فى رسائل اخوان الصفاء . وهذه النصوص هى رهن التحقيق والدراسة فى هذا البحث .

ومؤلف المخطوطة هو محمد بن منكلى من علماء مصر فى القرن الثامن الهجرى ويثبت ذلك ما ذكره فى المخطوطة من حوادث تعود لعام ٧٦٦ هـ (١) وما ذكره من أنه كان يعمل نقيباً فى الجيش بمملكة مصر وكان أمير الاسكندرية اذ ذاك صلاح الدين خليل بن عرام (٢) وما ذكره أيضا حول كتاب له بعنوان «التدبيرات السلطانية فى سياسة الصنائع الحربية » وهو ما يقول كتاب جليل المقــدار، كنت الفته للأشرف شعبان رحمه الله ولم يصل اليه (٣) . فاذا عرفنا أن حياة حكم الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون كانت بين سنتى ٧٦٤ — ٧٧٨ هـ ، لأدركنا أن المؤلف كان على قيد الحياة بعد وفاة الأشرف،

(١) المخطوطة ، ص ٤٥

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ — ١١٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣

أى بعد سنة ٧٧٨ هـ ، ولأدركنا انه كان فى خدمة الدولة المملوكية
قرب نهاية دولة المماليك البحرية .

وتبدو أهمية المقابلة بين ما ورد فى مخطوطه ابن منكلى « الاحكام
الملوكية والضوابط الناموسية » من نصوص ، وبين تلك التى وردت فى رسائل
اخوان الصفاء ، فى الدلالة على مدى انتشار الرسائل ، ومدى الاقتباس
منها فى بعض الكتابات والمخطوطات ، مما يستوجب العناية بتقصى أبعاد
هذا الاقتباس وذاك الانتشار مما يلقي مزيدا من الضوء على جماعة اخوان
الصفاء وأثرها فى مختلف جوانب الفكر الاسلامى من سياسية واجتماعية
وإسافية وغيرها .

وقبل التطرق لعرض نصوص المخطوطة ، تجدر الإشارة الى أهم الملاحظات
التي تتعلق بهذه النصوص والأفكار التي دارت حولها فى نطاق الفلسفة
السياسية لجماعة اخوان الصفاء وهى :

أولا : ان الأبواب التي تضم النصوص المحققة من مخطوطة ابن منكلى ،
تمثل فصولا أو أجزاء من فصول فى رسائل اخوان الصفاء . ويتضح من مقابلة
نصوص المخطوطة مع نصوص الرسائل ما يلى :

١ — الباب السابع والتسعون من المخطوطة « فى بيان العلوم الشرعية » ،
يقابله فى رسائل اخوان الصفاء الفصل المسمى « فصل أجناس العلوم »
والفصل المسمى « فصل فى العلوم الآلهية » ، وقد ورد هذان الفصلان فى الرسالة
السابعة من رسائل الاخوان وهى رسالة « فى الصنائع العلمية والغرض منها » (١) .

٢ — الباب الثامن والتسعون من المخطوطة « فى بيان من يساهل
عليه عمل صنعة وبالعكس » ، يقابله فى الرسائل الفصل المسمى « فصل فى
قابلية الإنسان للصنعة » ، والفصل المسمى « فصل فى الغرض من الملك » ،
وقد ورد الفصلان فى الرسالة الثامنة لـ اخوان الصفاء وهى رسالة « فى
الصنائع العملية والغرض منها » (٢) .

(١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، دار صادر — دار بيروت ،
بيروت ١٩٥٧ الجزء الأول ص ٢٦٦ — ٢٧٤ . وسوف يتم تحقيق نصوص
ابن منكلى على ضوء هذه الطبعة من رسائل الاخوان .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ — ٢٩٢

٣ - الباب التاسع والتسعون من المخطوطة « في طلب الأخلاق السنية والقوانين المرضية » يقابله في الرسائل الفصل المسمى « فصل في وجوه اختلاف الأخلاق » والفصل المسمى « فصل في اختلاف الأخلاق من جهة الاخلاط » . وقد ورد الفصلان في الرسالة التاسعة من رسائل الاخوان وهي رسالة « في بيان الأخلاق وأسباب اختلافها وأنواع عللها ونكت من آداب الانبياء وزيد من أخلاق الحكماء » (١) .

٤ - الباب المائة من المخطوطة « في ذكر الرتب » ويقابله في رسائل الاخوان ما ورد في الفصل المسمى « فصل في مراتب الانفس » من الرسالة التاسعة للاخوان المشار اليها في البند السابق (٢) .

٥ - الباب الحادى بعد المائة من المخطوطة « في بيان السياسة » ، يقابله ما ورد في الفصل المسمى « فصل في مراتب الانفس » وما ورد في بداية الفصل المسمى « فصل في اختلاف مناهج النفوس » ، وكلاهما من الرسالة التاسعة لـ اخوان الصفاء المشار اليها في البندين السابقين (٣) .

٦ - الباب الثانى بعد المائة من المخطوطة « في بيان الناموس » ، يقابله ما ورد في الفصل المسمى « فصل في مراتب الناس في الأخلاق حسب الأعمال » من الرسالة التاسعة لـ اخوان الصفاء المشار اليها في البنود الثلاثة السابقة (٤) .

ثانيا : أورد ابن منكلى في الباب الاخير من النص المحقق عبارة ذكر أنها من رسالة لمن يدعى « المجريطى » ولعل هذا الاسم تصحيف لاسم الحكيم « المجريطى » الذى عزا اليه البعض تأليف رسائل اخوان الصفاء ، ونسب اليه البعض الآخر أنه وضع رسائل على غرار رسائل اخوان الصفاء . ولعل هذا يدعونا الى لقاء الضوء على علاقة المجريطى برسائل الاخوان .

لقد اختلف الباحثون اختلافا بينا حول مؤلفى رسائل اخوان الصفاء . وقد عبر القفطى عن هذا الاختلاف بقوله « ولما كنتم مصنفوها أسماءهم ،

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٩

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١١ - ٣١٣

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١٤ - ٣١٦

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣

اختلف الناس في الذي وضعها . فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين . فقوم قالوا : هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في اسم الامام الواضع لها اختلافا لا تثبت له حقيقة . . . وقال آخرون : هي من تصنيف بعض متكلمي المعتزلة في العصر الأول . . . (١) .

وعموماً يمكن اجمال الآراء التي قيلت في صدد مؤلفي الرسائل وأشخاص جماعة اخوان الصفاء فيما يلي : (٢) .

١ — أن واضع الرسائل في القرن الرابع الهجري هم زيد بن رفاعه ، وأبو سليمان محمد بن مشير (أو معشر) البستي المعروف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني ، وأبو أحمد المهرجاني (أو النهر جوري) والعمري وأبو محمد بن أبي البغل .

٢ — أن أحد الأئمة من آل البيت في العصر العباسي الأول هو الذي وضع الرسائل مع عدم الاتفاق حول الامام الواضع لها .

٣ — أن الحرم الأربعة للامام أحمد الوفي هم الذين وضعوا الرسائل . وهؤلاء الحرم الأربعة هم : عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن سعيد ، وعبد الله بن حمدان وعبد الله بن ميمون القداح .

٤ — أن الحكيم المجريطي هو الذي وضع رسائل اخوان الصفاء أو الرسالة الجامعة . ولا يهمننا في نطاق البحث الحالي إلا الاتجاه الرابع الذي يشير الى علاقة المجريطي برسائل اخوان الصفاء ، والذي أشار اليه ابن منكلى في مخطوطته .

والمجريطي هو مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي القرطبي الاندلسي . ويكنى أبو قاسم . وقد عاش في زمن الحكم (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ)

(١) القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٦ ، الجزء الأول ، ص ٥٩

(٢) يمكن الرجوع لتفاصيل حول هذه الآراء والاتجاهات في : د. محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء — دراسة في الفكر الاسلامي ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ — ٩٩

وفي زمن هشام الثاني (٣٦٦ — ٣٩٩ هـ) وتوفي قبل نشوب الفتنة التي أدت الى سقوط الدولة الأموية في الاندلس في احدى السنوات الواقعة بين ٣٩٥ و ٣٩٨ هـ حسب اختلاف الروايات . وممن تأثر به من العلماء الكرماني وابن خلدون . وتدل الأخبار والأقوال على علو كعبه في الرياضيات والفلك والمعاملات حتى لقد سماه صاعد الأندلسي « امام الرياضيين » (١) ولقبه ابن بشكوال بالفرضي والحاسب (٢) ، ووصفه ابن خلدون بأنه شيخ الاندلس في علوم الكيمياء والسيمايا والسحر في القرن الثالث وما بعده (٣) ومن أشهر مؤلفات المجريطى كتاب « رتبة الحكيم » وكتاب « غاية الحكيم » (٤) .

ويستند أصحاب الرأي القائل بأن رسائل اخوان الصفاء من وضع الحكيم المجريطى على ما أورده المجريطى في كتابه « رتبة الحكيم » اذ قال « وقد قدمنا من التأليف في العلوم الرياضية والأسرار الفلسفية ، رسائل استوعبناها فيها استيعابا لم يتقد منا فيها أحد من أهل عصرنا البتة ، وقد شاعت هذه الرسائل فيهم وظهرت اليهم ، فتنافسوا في النظر اليها ، وحضوا أهل زمانهم علب ، ولا يعلم من ألف ولا اين ألف غير الحذاق منهم ، لما دأبوا على مطالعتها لاستحسانهم اياها واستعذابهم لألفاظها ، علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم الذى هم فيه ولا يعلمون من ألفها ، وكل ذلك من تلك التأليف مبسوط المرسوم . . . » وقد حمل البعض هذا القول على الظن بأن الرسائل التي يشير اليها المجريطى هي رسائل اخوان الصفاء . حتى لقد سئل البهائي مفتي الديار الرومية عن صاحب كتاب اخوان الصفاء فقال « رأيتها منسوبة للمجريطى ، وما تحققت من هو ما أخبره (٥) وجاء في فتاوى الشيخ ابن حجر عن الرسائل « نسبها كثير الى جعفر الصادق ، وهو باطل . وانما الصواب أن مؤلفها مسلمة

(١) صاعد الاندلسي ، التعريف بطبقات الامم ، القاهرة ، ص ٦٩

(٢) ابن بشوال ، الصلة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٥٦٤

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤٨١

(٤) انظر : الاب ميخائيل الجميل ، المجريطى ونظريته في الطبيعيات ، آفاق عربية (جلة) ، عدد يوليو ١٩٧٦ ، ص ٨٢ — ٨٥

(٥) انظر : المحبى ، خلاصة الاثر ، تحقيق مصطفى وهبى ، القاهرة ١٣٧٦ هـ الجزء الرابع ص ٦ ، جميل صليبا ، مقدمة الرسالة الجامعة ، دمشق ١٩٤٨ ، الجزء الاول ص ٦

ابن قاسم الاندلسي « (١) وبالرغم من أن صاحب « كشف الظنون » يميل إلى تأييد الاتجاه الأول الذي اعتمد على رواية أبي حيان التوحيدى في القول بأن جماعة زيد بن رفاعه هم مؤلفو الرسائل ، إلا أنه يذهب إلى القول بأن للحكيم المجريطى القرطبى رسائل على نمط رسائل اخوان الصفاء ، تحمل نفس الاسم ولكنها نسخة مغايرة (٢) .

ولا يقر ويدمان Wiedemann أن المجريطى هو مؤلف رسائل اخوان الصفاء ولكنه جالبها معه عند عودته من رحلة إلى المشرق (٢) ولكن البعض يرى أن المجريطى جلب معه « الرسالة الجامعة » وليس الرسائل ، وأملأها محاضرات على تلاميذه . ويذهب فريق آخر إلى القول بأن الرسائل وصلت إلى الاندلس بطريقة ما (٣) وأن المجريطى قرأها وأملأها شرحا لرسائل الاخوان مدعيا أنها الرسالة الجامعة التى أشار الاخوان إليها فى رسائلهم (٤) .

(١) ابن حجر العسقلانى ، لسان الميزان ، حيدر آباد ١٣٣١ هـ ، الجزء الثانى ، ص ٦٣ - ٦٤ ، ابن الألويسى البغدادى ، محاكمة الاحمدين ، طبعة بولاق ١٢٩٨ هـ ، ص ٤٥ وما بعدها ، مقدمة أحمد زكى باشا لرسائل اخوان انصفا وخلان الوفاء ، القاهرة ١٩٢٨ ، الجزء الاول ص ٣٠ - ٣٢ .
(٢) حاجى خليفة ، كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ، تصحيح محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بليلى الكليس ، القاهرة ١٩٣١ - ١٩٤٣ ، المجلد الاول ، ص ٩٠٢ . وفى المقدمة التى كتبها الشيخ على يوسف لرسائل الاخوان طبعة كلية الآداب يقول ان للمجريطى رسائل على مثال رسائل اخوان الصفاء كتم اسمه فيها ، وقد علق أحمد باشا على ذلك بقوله : « قول نطالبه عليه بالدليل » ، ولا تأخذه منه قضية مسلمة فان مثل هذا يهم المؤرخين نقله (انظر : مقدمة أحمد زكى باشا ، رسائل اخوان الصفاء ، طبعة القاهرة ١٩٢٨ ، مرجع سابق ص ٣٨) وفى نفس الاتجاه أيضا ذهب عمر الدسوقي إلى القول بأن هناك نوعين من الرسائل ، الاولى لـ اخوان الصفاء والثانية على نهجها ألفها المجريطى فى احدى وخمسين رسالة مثلها (عمر الدسوقي ، اخوان الصفاء القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤١) .

Weidmann Migriti

(٣) انظر

(٤) يرى البعض أن الخليفة الحكم الثانى (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) أرسل بعض التجار لشراء الكتب من المشرق ، فعادوا معهم مجموعة كبيرة من الكتب من بينها رسائل اخوان الصفاء (أحمد أمين ، مبادئ الفلسفة القاهرة ص ٧٤) ويرى البعض أن الكرمانى - تلميذ المجريطى - هو الذى جلب الرسائل من ديار المشرق (صاعد الاندلسى ، التعريف بطبقات الامم مرجع سابق ، ص ٧٠) .

(٥) عمر الدسوقي ، اخوان الصفاء ، مرجع سابق ، ص ٦٧

ومن المرجح أن المجريطى لم يؤلف رسائل اخوان الصفاء ولا الرسالة الجامعة لعدة اعتبارات لعل أهمها :

(١) تراجم الحكيم المجريطى لا تقدم دليلا مقنعا على أنه واضع الرسائل أو الرسالة الجامعة . وما ذكره المجريطى فى كتابه « رتبة الحكيم » حول تأليفه لرسائل لا يعد برهانا قاطعا على أنها رسائل الاخوان ، كما أن أسلوب الرسالة الجامعة شديد الشبه بأسلوب رسائل اخوان الصفاء ، وكلاهما يختلف عن أسلوب المجريطى فى كتابيه المشار إليهما .

(ب) ان الرسالة الجامعة ترد القارىء الى رسائل اخوان الصفاء . كما أن الرسائل تحيل أيضا الى الرسالة الجامعة (١) وهذا دليل على التشابه والتكامل بين الرسالة الجامعة والرسائل ، وعلى أن مؤلفهما واحد أو جماعة واحدة .

وأقصى ما يمكن أن نستنتجه — اعتمادا على مخطوطة ابن منكلى — أن للمجريطى رسالة ، ليست الرسالة الجامعة ، على غرار رسائل اخوان الصفاء أخذت شكل مختصر لهذه الرسائل .

ثالثا : النصوص المحققة فى مخطوطة ابن منكلى والمنقولة عن رسائل اخوان الصفاء أو عن مختصر لهذه الرسائل ، تنطوى على بعض الأفكار السياسية ، ومن الملائم أن نعرض أهم هذه الأفكار فيما يلى :

١ — ذكر ابن منكلى أنواع العلوم الشرعية التى ذكرها اخوان الصفاء ، وهى ستة : علم التنزيل ، وعلم التأويل ، وعلم الروايات والايثار ، وعلم الفقه والسنن والاحكام ، وعلم التذكار والمواعظ والزهد والتصوف ، وعلم تأويل المنامات (٢) — واخوان الصفاء يولون أهمية خاصة لعلم التأويل ، حيث يرون أن المشتغلين بهذا العلم هم الائمة وخلفاء الانبياء . ولا يجدر بنا الا ندرك مغزى

(١) انظر على سبيل المثال : الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٤٢ — ٤٣ ، الرسالة الجامعة ، الجزء الاول ، ص ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٦٩ ، ٦٠٨٥٢٧ ، ٤٢٦

(٢) انظر : الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٦٧ ، المخطوطة ، ص ١٤٣ —

هذا القول باعتبار اخوان الصفاء من الشيعة الاسماعيلية الذين يعتبرون أن تأويل الشريعة هو حق لآل البيت فحسب ، وليس من حق غير الأئمة مهمل علمهم الديني التطرق الى تأويل أى أمر من أمور الشريعة .

وعلى ضوء هذا التصنيف للعلوم الشرعية ، يقسم الاخوان البشر الى مراتب حسب أعمالهم ، ولكن لا يقسمونهم الى ستة أقسام بل الى ثمانية ، وقد نقل ابن منكلى هذا التقسيم فى مخطوطته فى الباب الذى أسماه « فى بيان الناموس » . وهذه الاقسام لمراتب الشر هي : (١)

١ - قراء التنزيل وحفاظ الفاظه . وهذه المرتبة يقابلها علم التنزيل من العلوم الشرعية .

٢ - رواية الاخبار وناقلو الحديث وحافظو سر النبوة . ويقابلها علم الروايات والاخبار .

٣ - فقهاء أحكام الناموس وعلماء سنته وحفاظ حدوده . ويقابلها علم الفقه والسنن والأحكام .

٤ - المفسرون الفاظ التنزيل الظاهرة وأقواله المروية .

٥ - المجاهدون وغزاة أعداء الناموس الحافظون ثغور البلاد .

٦ - خلفاء صاحب الناموس فى أمره ، ورؤساء أصحابه الحارسون لشريعته على أمة .

٧ - الزهاد والعباد فى المساجد والخطباء علم المنابر الماعظون الناس لعدم ترك استعمال الناموس . وهذه المرتبة تقابل علم التذكير والمواعظ والزهد والتصوف من العلوم الشرعية .

٨ - علماء تأويل التنزيل ، وهم الأئمة المهديون . وتقابل هذه المرتبة علم التأويل . ملاحظ علم هذا التقسيم أنه لم يتضمن مرتبة من البشر تقابل

(١) أنظر : الرسائل ، الجزء الأول ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ ، المخطوطة ٥

ص ١٥٠ - ١٥١

علم تأويل المنامات وهو العلم السادس من العلوم الشرعية . كما يلاحظ أن المراتب الرابعة والخامسة والسادسة من مراتب البشر ، يمكن أن تندمج في مراتب أخرى . فالمرتبة الرابعة يمكن ادماجها في المرتبة الثالثة على أساس أن عمليّة التفسير لظاهر التنزيل عمليّة متممة ومكملة للفقه ، ومن ثم تندمج تحت علم الفقه والسنن ، والاحكام والمرتبتان الخامسة والسادسة يمكن أن يدمجا مع المرتبة الثامنة ، على أساس أن أعمال هاتين المرتبتين تدخل ضمن اختصاصات الائمة وخلفاء الأنبياء في مذهب الاخوان ، وهو ما يعبر عنه الاخوان — ونقله عنهم أن منكل — بمصطلح « السياسة الملوكية » وسوف نتعرض لذكرها في النقطة التالية عندما نتعرض لأقسام علم السياسة .

٢ — نقل ابن منكل في مخطوطته أقسام العلوم السياسية عن اخوان الصفاء . وعلم السياسة كما يسميه الاخوان ، أو العلوم السياسية كما يسميها ابن منكل ، خمسة أقسام هي : (١)

١ — السياسة النبوية : وهي التي يقوم بها الأنبياء عليهم السلام لسياسة النفوس الشريرة وترغيبها في العادات والأخلاق الحميدة . وهذه السياسة هي أرقى أنواع السياسات . وفي هذا المعنى يقول الاخوان «واعلم يا أخى انه ليس من علم ولا عمل ولا صناعة ولا تدبير ولا سياسة مما يتعاطاه البشر هو أعلى منزلة ولا أسنى درجة . . . من وضع الشرائع الإلهية » (٢) .

٢ — السياسة الملوكية : وهي التي تعنى معرفة كيفية حفظ الشريعة على الأمة ، وأحياء السنة في الملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود ، وإنفاذ الأحكام ورد المظالم ، وقمع الأعداء ، وكف الاشرار ، ونصرة الاخبار . ويختص بهذه السياسة خلفاء الأنبياء والائمة المهديون . . وواضح من هذا المفهوم للسياسة الملوكية أن الامامة أو الخلافة هي حق لخلفاء الأنبياء من أئمة آل البيت ، وهو ما يتفق مع مذهب الاخوان في التشيع .

(١) انظر : الرسائل ، الجزء الأول ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ ، المخطوطة ، ص ١٤٤ — ١٤٦

(٢) الرسائل ، الجزء الرابع ، ص ١٢٨

٣- السياسة العامة : أو سياسة العامة كما ذكرها ابن منكلى .
وهى الرئاسة على الجماعات ، كرئاسة الأمراء على البلدان والمدن ، ورئاسة
قادة الجيوش على العساكر وغيرها .

٤ - السياسة الخاصة : وهى التى يقوم بها الانسان لتدبير منزله
وأمر معيشتة ، وتدبير أحوال خدمة وغلمايه ومماليكه واقربائه وعشيرته وجيرانه
وأصدقائه .

٥ - السياسة الذاتية : ويعنى هذا النوع من السياسة بأخلاق الانسان
نفسه ، أو الضوابط الذاتية للانسان ، أى معرفة كل انسان لنفسه وأخلاقه ،
وننظر فى أحواله وأفعاله وأقواله وجميع أموره المتعلقة به دون سواه .

وتجدر الإشارة الى أن هذه الأقسام لعلم السياسة أو العلوم السياسية
التى وضعها اخوان الصفاء - ونقلها عنهم ابن منكلى - يمكن اعتبارها أول
تقسيم للسياسة فى الفكر السياسى الاسلامى . وعلى غرارها قام بعض فلاسفة
الاسلام كالفارابى وابن سينا بوضع تقسيمات - مع بعض الاختلافات -
للسياسة . ولم يذكر كل من الفارابى وابن سينا السياسة النبوية أو السياسة
الملكية ، وان كان ابن سينا قد أشار الى السياسة الملكية ضمن السياسة
العامة ولم يجعلها قسما مستقلا من أقسام السياسة . ولعلهما لم يتعرضا
لهذين النوعين من السياسة لأنهما كانا مجرد مفكرين نظريين (١) بعكس اخوان

(١) قسم الفارابى السياسة الى : سياسة المرء مع رؤسائه ، وسياسته
مع اكفائه وسياسته مع من دونه ، وسياسة المرء مع نفسه . وقسمها ابن سينا
الى : سياسة الرجل نفسه ، وسياسة الرجل دخله وخرجه ، وسياسة الرجل
أهله ، وسياسة الرجل ولده وسياسة الرجل خدمه (أنظر : رسالة فى السياسة
للفارابى وكتاب السياسة لابن سينا فى : الآباء لويس معلوف وخليل اده ولويس
شيوخو ، مقالات فلسفية قديمة لبعض فلاسفة العرب مسلمين ونصارى ،
مجلة المشرق ، بيروت ١٩١١ ، ص ٢ - ٣٠) . وقد نسب البعض لكل من
أفلاطون وأرسطو كتابا فى السياسة فيها تقسيم للسياسة مشابه للتقسيمات
التى ذكرها فلاسفة الاسلام ، مثل سياسة الرجل لعبيده . وسياسته لخدمه ،
وسياسته لأبنائه ، وسياسته لنفسه (أنظر : د. عبد الرحمن بدوى ،
الاصول اليونانية للنظريات السياسية للإسلام . القاهرة ١٩٥٤ وبه نص
رسالتى أفلاطون وأرسطو فى السياسة) .

الصفا الذين كانت تضمهم حركة فكرية ثورية بما ، أى كانوا أصحاب ايدولوجية ومذهب سياسى يسعون الى تحقيقه فى واقع الحياة السياسية ، ومن ثم تعرضوا للسياسة النبوية والسياسة الملوكية لتقرير حق ائمتهم من آل البيت فى الخلافة أو الإمامة باعتبارهم خلفاء الأنبياء .

وهناك نقطة جديرة بالاهتمام وهى أن اخوان الصفاء وغيرهم من فلاسفتنا الاسلاميين قد جعلوا علم السياسة أو العلوم السياسية أحد فروع العلم الإلهى ، أو العلوم الدينية ، وربطوا بين السياسة والدين من جانب ، وبين السياسة والأخلاق من جانب آخر . ولا غرابة فى هذا الاتجاه ، حيث يلاحظ على الفكر السياسى فى العصور الوسطى بصفة عامة ، فى المسيحية أو فى الإسلام أنه لم ينظر الى السياسة باعتبارها علما قائما بذاته مستقلا عن العلوم الأخرى . بل صار علم السياسة — بحكم سيطرة القيم الدينية على كافة مناحى الحياة — فرعاً من فروع العلوم الدينية أو الإلهية . ومن ثم ظل الطابع السائد للكتابات السياسية فى الإسلام طوال العصور الوسطى ، بل وحتو القرن التاسع عشر الميلادى ، هو الخلط بين السياسة والدين والأخلاق، نظرا للطابع الدينى السائد فى السياسة والحكم فضلا عن أن تعاليم الدين الإسلامى تجعل من الأخلاق النابعة من القيم الدينية أساسا لقواعد المعاملات والسياسات . ولذا لم يكن هناك أى خلافا بين سلوك الانسان مع نفسه (الأخلاق) وسلوكه مع غيره (السياسة) ، فالانسان الفرد والانسان السياسى كانا سيران جنبا الى جنب ولا يمكن فصل احدهما عن الآخر . وهكذا كان الفكر السياسى الإسلامى فى هذه العصور فكرا أخلاقيا(١) . وفى الفصل الذى عقده الاخوان للبحث فى « غرض السياسات » يلخص الاخوان هذا الاتجاه العام للمزج بين السياسة والأخلاق ، وأن الأخلاق أو سياسة النفس هى أساس كل السياسات ، بقولهم « اعلم أن الجسد مسوس والنفس سائس ، فأى نفس ارتاضت فى سياسة جسدها كما يجب ، أمكنها سياسة الأهل والخدام والعلمان . ومن سائس أهله بسيرة عادلة ، أمكنه أن يسوس قبيله . ومن سائس قبيله كما يجب ، أمكنه أن يسوس أهل المدينة كلهم . ومن سائس أهل

(١) انظر فى هذا المعنى :

D. M. Dunlop. Al-Farabi, Fusul Al-Madani Cambridge 1961, p. 3

المدينة كلهم ، أمكنه أن يسوس الناموس الآلهى . ومن ساس الناموس الآلهى ،
أمكنه الصعود الى عالم الافلاك وسعة السماوات . . « (١) » .

٣ — وكما نقل ابن منكلى فى مخطوطته تقسيم السياسة كما ورد فى رسائل
اخوان الصفاء ، نقل عنهم أيضا تعريفهم للسياسة ومفهومهم لمعناها .
فقد عرف الاخوان السياسة من حيث غايتها بأنها تهدف الى « صلاح
الموجودات وبقاؤها على أفضل الحالات وأتم الغايات » (٢) وقد نقل ابن منكلى
هذا المفهوم للسياسة ، وان كان قد أضاف إليه قوله « ان الانسان العاقل
مجبول فى نشأته على الاتيان بالسياسة ، فهو مجبول على دفع ما يضره تسرا ،
وهو مجتهد فى استجلاب ما ينفعه حتما (٣) وهذه العبارة تعكس تردد ابن منكلى
فى رجاء السياسة الى أسس غريزية أم الى أسس عقلية ، وبمعنى آخر
لم يستطع أن يوضح لنا بجلاء ما اذا كانت الجبلة والغريزة أو الاجتهاد
والعقل هى أساس السلوك السياسى ، وهل يمكن قبل قوله بأن الانسان
يتصرف تصرفا غريزيا فى دفع الضرر ، بينما يتصرف تصرفا عقليا فى جلب
المنفعة ؛ أما اخوان الصفاء ، فقد عزوا السلوك السياسى الى الغريزة
والجبلة والاستعداد الفطرى ، ويميزوا على هذا الأساس بين السياسة والرياسة .
فجذبوا الرياسة من خصائص النفس الغضبية الحيوانية التى جبلت على
« القهر والغلبة وحب الرياسة » (٤) ، أما السياسة فهى من صفات النفس
العاقلية التى جبلت على « فن التدبير وسياسة التقدير » (٥) والسياسة عند
الاخوان أشرف من الرياسة ، والنفس العاقلية تجذب النفس الغضبية الى
« تدبيرها وسياستها » (٦) ولعل هدف الاخوان من فكرة الاستعدادات الفطرية
لكل من الرياسة والسياسة ، وفكرة رياسة النفس الناطقة للنفس الغضبية ،
واعتبار السياسة أشرف من الرياسة ، هو خدمة مذهبهم السياسى وهو

(١) الرسائل ، الجزء الثالث ص ٤٨

(٢) الرسائل الجزء الاول ، ص ٣١٤

(٣) المخطوطة ، ص ١٤٩

(٤) الرسائل الجزء الثالث ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩

(٥) الرسائل الجامعة ، الجزء الثانى ، ص ١٧٥

(٦) الرسائل ، الجزء الرابع ، ص ٣٠٨

أن الأئمة من آل البيت هم الذين لديهم الاستعداد الفطرى للسياسة، وبالسياسة تتحقق المدينة الفاضلة « دول أهل الخير » أما الخلافة الغاصبة للامويين والعباسيين فهي تقوم على القهر والغلبة ، وحكمها هو رئاسة ، وبالرئاسة، ظهرت « دولة أهل الشر » لأنها خالفت مبدأ الوراثة الفطرية الذى يفرض على النفس الغضبية الحيوانية الرضوخ والطاعة للنفس العاقلة ، أى خضوع الرياسة للسياسة والانقياد لها (١) .

٤ — ان فكرة تقسيم الصنائع والحرف والأعمال وفقا لطوائع البروج ودلالة الكواكب والقدرية على اتفاق صناعة الآباء والأجداد التى ذكرها ابن منكلى فى مخطوطته والتى وردت قبل ذلك فى رسائل اخوان الصفاء ، قد تشير الى ان نمط تفكير الاجتماعى الذى كان سائداً على عهد اخوان الصفاء لم يتغير طوال الفترة الواقعة بين عصر الاخوان (القرنين الثالث والرابع الهجريين) وعصر ابن منكلى (القرن الثامن الهجرى) . ومن أهم المبادئ التى تنطوى عليها هذه الأفكار مبدأ « التخصص » ومبدأ « وراثة المهن » — ونصوص الاخوان وكذلك نصوص ابن منكلى تبرر هذين المبدأين بالقول بأن « صناعة الآباء والأجداد انجع فى الاولاد من صناعة الغرباء ، وخاصة من دل مولده عليه ، ويكونون فيها أحق وأنجب . ومن أجل هذا أوجبوا فى سياسة اردشير ابن بابكان على أهل كل طبقة من الناس لزوم صناعة آبائهم وأجدادهم وأن لا يتجاوزوها ، وزعموا أن ذلك فرض عليهم من الله تعالى » (٢) .

وفكرة دلالة الكواكب على الاستعداد الفطرى لتعلم صنعة معينة أو اتقان عمل بعينه دون سواه ، وفكرة الاستعداد الفطرى والوراثى لتعلم واتقان صناعة الآباء هما فكرتان تخدمان مذهب الاخوان السياسى ، اذ اعتمد عليهما الاخوان للدفاع عن حق الأئمة من آل البيت فى الحكم لما فطروا عليه من استعدادات تؤهلهم دون غيرهم لذلك . ويرى الاخوان أن مبدأ وراثة المهن

(١) يمكن الرجوع لتفاصيل حول مفهوم المدينة الفاضلة ودولة أهل الشر ودولة أهل الخير فى : د. محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء — دراسة فى الفكر الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ — ٤١٤

(٢) الرسائل، الجزء الاول ، ص ٢٩١ — ٢٩٢، المخطوطة ص ١٤٦ — ١٤٧

ومبدأ التخصص يؤيدان الى « صيانة للملك ان لا يرغب فيه من ليس من أهله ، لأنه اذا كثر الطالبون للملك ، كثر التنارع بينهم ، واذا كثر التنارع كثر الشغب واضطربت الأمور وانفسد النظام وفساد النظام يتبعه البوار والبطلان » ويؤكد الاخوان في مواضع أخرى من رسائلهم نفس الفكرة ، فيقولون بأن الناس ينقسمون الى طبقات « بحسب الموالد المتفقة لهم » أى طبقا لموجبات الفلك وشكل الكواكب واقتترانات النجوم التى تؤثر بدورها على أمزجة وأخلاق وأخلاق البشر واستعداداتهم الفطرية ونفوسهم المطبوعة على حب الكون فى طبقة معينة من طبقات المجتمع (١) .

٥ — كان لـ اخوان الصفاء — وعنهم نقل ابن منكلى — رأى فى السيكولوجية الاجتماعية والعوامل الطبيعية المؤثرة فى طبائع الأمم وسجاياها . ورغم أنهم يعتبرون « موجبات أحكام النجوم فى مواليد البشر هى أصل اختلاف أخلاقهم وطباعهم » وخصصوا لذلك رسالة كاملة هى رسالة « فى مسقط النطفة » (٢) يبيوا فيها كيفية تأثيرات الكواكب على الاجسام والاخلاق من يوم مسقط النطفة الى يوم موت الجسد ، الا أنهم لم يغفلوا أهمية العوامل الوراثية والعوامل الطبيعية والعوامل الاجتماعية فى تكوين طبائع البشر وسجاياهم .

وقد جمع الاخوان فى الفصل المسمى « فصل فى وجوه اختلاف الاخلاق » (٣) والذى أورده ابن منكلى فى مخطوطته فى الباب المسمى « فى طلب الاخلاق السنية والقوانين المرضية » (٤) العوامل التى لها تأثير فى طبائع البشر والتى تتسبب فى اختلاف طبائع الأمم ، وهى :

١ — اخلاط أجسادهم وكيفية امتزاج هذه الاخلاط . وهو ما يمكن أن نعبر عنه بالعوامل الوراثية أو العرقية .

(١) انظر : الرسائل ، الجزء الثالث ، ص ٥٣٢ — ٥٢٣ ، الرسالة الجامعة ، الجزء الاول ص ٧٠٩

(٢) انظر : الرسائل ، الجزء الثانى ، الرسالة الرابعة والعشرين ، ص ٤١٧ — ٤٥٦ وبصفة خاصة فصل « فى كيفية تأثيرات الكواكب » .

(٣) انظر : الرسائل الجزء الاول ، ص ٢٩٩

(٤) انظر : المخطوطة ، ص ٤١٨

٢ — تربة بلدانهم واختلاف أهويتها . وهو ما يمكن أن يطلق عليه العوامل الطبيعية .

٣ — ديانات آبائهم ، وأساتذتهم ومربيهم . وهو ما يمكن أن يسمى بالعوامل الاجتماعية .

٤ — موجبات أحكام النجوم في أصول مواليدهم . وهو في نظر الاخوان العامل الأصلي والعوامل السابقة ما هي الا فروع له .

٥ — اهتم اخوان الصفاء في مواضع كثيرة من رسائلهم بمراتب النفوس فقسموا النفوس الى خمس مراتب هي : (١)

(أ) النفس النباتية أو الشهوانية .

(ب) النفس الحيوانية أو الغضبية .

(ج) النفس الناطقة الانسانية .

(د) النفس الملكية الحكيمة .

(هـ) النفس الملكية القدسية .

وفي الباب الذي اسماه ابن منكل « في ذكر الرتب » (٢) — والذي يمثل جزءا من الفصل المسمى عند الاخوان « في مراتب النفوس » (٣) — لم يذكر سوى المراتب الثلاث الاخيرة وهي : — الانسانية والحكيمة والناموسية . واذا كان ابن منكل لم يوضح أهمية تقسيم المراتب على هذا النحو في مخطوطته ، أو انهدف من هذا التقسيم الا أن اخوان الصفاء قد أوضحوا في رسائلهم الهدف من هذا التقسيم وأهميته ، وقد ربطوا بين تقسيم مراتب النفوس وبين تقسيمات أخرى مشابهة لمراتب الموجودات ومراتب البشر ومراتب أهل المدينة الفاضلة .

(١) انظر : الرسائل الجزء الاول ، ص ٣١١ — ٣١٦ ، ٣٦٥ ، الجزء الرابع ، ص ٢٣٠ ، ٣٦٥

(٢) المخطوطة ، ص ١٤٨ — ١٤٩

(٣) الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣١١ — ٣١٦

وكان نظام المراتب عندهم منهجا متعدد الجوانب والاعراض فهو أولا منهج في التنظيم السياسى لجماعتهم السرية يأخذ شكلا هرميا يبدأ من أعلى الى أسفل بالقيادة العليا ، فالقيادة السياسية النظرية ، فالقيادة العلمية ، فالمجموعات الوظيفية ، فالمستجيبين للدعوة . وهو ثانيا منهج في التنشئة السياسية لأعضاء الجماعة من المرحلة الأولى (الخمسة عشر سنة الأولى في حياة العضو أو المرتبة الأولى من مراتب التنظيم السرى أو المدينة الفاضلة الروحانية) الى المرحلة الخامسة (التى تبدأ بعد سن الخمسين وبها تكتمل التنشئة السياسية للعضو ويصل بها الى « مرتبة الآلهيين » المطلعين على كافة أسرار الجماعة) . وهو ثالثا منهج في الترقى في مراتب الجماعة والتدرج في مستويات التنظيم ، وقوامه الامتثال للطاعة من المراتب الأدنى للمراتب الأعلى والتفانى في خدمة أهداف الجماعة . وهو رابعا منهج في التخصص يقوم فيه أهل كل مرتبة أو طبقة بالعمل الذى يتناسب واستعداداتها وقدراتها . وهو خامسا منهج فلسفى لخدمة مذهبهم السياسى يهدف الى اثبات عصمة الامام وضرورته في التوسط بين المرتبة البشرية والمرتبة العليا ، فهو حلقة الوصل الرئيسية بين هاتين المرتبتين باعتباره أرقى مرتبة في المراتب البشرية نفسها . ويمكن القول بأن فكرة المراتب تحتل أهمية خاصة في كتابات فرق الشيعة عموما وفي كتابات فرقة الاسماعيلية خصوصا ونذكر منهم على سبيل المثال الكرمانى (القرن الخامس الهجرى) (١) والجيلانى (القرن الحادى عشر الهجرى) (٢) .

وبعد هذا العرض لبعض الملاحظات التى تدور حول نصوص مخطوطة ابن منكلى والنصوص الماثلة لها في رسائل اخوان الصفاء ، وعرض أهم الأفكار السياسية والاجتماعية التى تدور حولها هذه النصوص ، نعرض الابواب المحققة من المخطوطة فيما يلى :

(١) انظر : الكرمانى راحة العقل ، تحقيق د. محمد مصطفى حلمى ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٧٧ - ٣٠٦

(٢) انظر الجيلانى ، توفيق التطبيق في اثبات أن الشيخ الرئيس من الائمة الاثنى عشرية ، تحقيق د. محمد مصطفى حلمى ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٨

(ص ١٤٣) الباب السابع والتسعون (١) .

في بيان (٢) العلوم الشرعية التي وضعت لنجاة (٣) النفوس (ص ١٤٤)
وطلب الآخرة وهي (٤) ستة أنواع : أولها علم التنزيل — وثانيها علم
التأويل . وثالثها (٥) علم الروايات والاختبار والرابع علم الفقه والسنن
والاحكام — ومنها (٦) علم التذكار والمواعظ والزهد والتصرف . ومنها (٧) علم
تأويل المنامات . فعلماء (٨) التنزيل هم القراء والحفظة وعلماء (٩) التأويل هم
الأئمة (١٠) وخلفاء الانبياء وعلماء الروايات هم أصحاب الحديث ، وعلماء (١١)
الاحكام والسنن هم الفقهاء ، وعلماء (١٢) التذكار هم العباد (١٣) ومن شاكلهم ،
وعلماء التأويل (١٤) هم المعبرون .

(١) ورد في الاصل الباب الرابع والتسعون ، حيث ان المخطوطة تحتوى
على أربعة أبواب مكررة الارقام .

(٢) وردت في الرسائل « فاما أنواع في » الفصل المخصص للبحث في اجناس
العلوم (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٦٧) .

(٣) وردت في الرسائل « لطب » (المرجع السابق ، ص ٢٦٧) .

(٤) وردت في الرسائل « فهى » (المرجع السابق ، ص ٢٦٧) .

(٥) وردت في الرسائل « والثالث » (المرجع السابق ، ص ٢٦٧) .

(٦) وردت في الرسائل « والخامس » (المرجع السابق ص ٢٦٧) .

(٧) وردت في الرسائل « والسادس » (المرجع السابق ، ص ٢٦٧) .

(٨) وردت في الاصل « فعلماء » .

(٩) وردت في الاصل « وعلماء » .

(١٠) وردت في الاصل « الائمة » .

(١١) وردت في الاصل « وعلماء » .

(١٢) وردت في الاصل « وعلماء » .

(١٣) وردت في الرسائل « التذكار والمواعظ هم العباد والزهاد والرهبان »

(الرسائل الجزء الاول ، ص ٢٦٧) .

(١٤) وردت في الرسائل « تأويل المنامات » (المرجع السابق ، ص ٢٦٧) .

وأما العلوم (١) الآلهية قالوا (٢) خمسة أنواع : أولها معرفة البارئ تعالى وتقدس (٣) وصفة وحدانيته وكيف هو (٤) علة الموجودات ، وخالق المخلوقات وفائض (٥) الجود ، ويعطى الجود والوجود (٦) وحافظ النظام ، ومبقى الدوام ومدبر الكل ، وعلم الغيب (٧) ، وأول كل شيء ابتداء ، وآخر كل شيء (٨) ظاهر على (٩) كل شيء قدرة ، وباطن على (١٠) كل شيء علما (١١) .

(١) « وأما العلوم » وردت في الرسائل « والعلوم » (المرجع السابق ص ٢٧٢) .

(٢) لم ترد « قالوا » في الرسائل (المرجع السابق ، ص ٢٧٢) .
(٣) « تعالى وتقدس » وردت في الرسائل « جل جلاله وعم نواله » (المرجع السابق ص ٢٧٢) .

(٤) وردت في الاصل « هي » .
(٥) وردت في الاصل « فائض » .

(٦) « ومعطى الجود الوجود » وردت في الرسائل « ومعطى الوجود » (الرسائل الجزء الاول ، ص ٢٧٢) .

(٧) وردت في الرسائل « وعالم الغيب والشهادة لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء » (المرجع السابق ، ص ٢٧٢) .

(٨) « وآخر كل شيء » وردت في الرسائل « وآخر كل شيء انتهاء » (المرجع السابق ص ٢٧٢) .

(٩) « على » لم ترد في الرسائل (المرجع السابق ، ص ص ٢٧٢) .

(١٠) « على » لم ترد في الرسائل (المرجع السابق ، ص ٢٧٢) .

(١١) ذكر المؤلف أن العلوم الآلهية خمسة أنواع ، ولم يورد منها سوى النوع الأول وهو معرفة البارئ وانتقل الى العلوم السياسية مباشرة رغم أنها هي النوع الرابع من الانواع الخمسة ، ومن ثم ، لم يرد في نص ابن منكلى ما يلي : والثاني علم الروحانيات ، وهو معرفة الجواهر البسيطة العقلية المسلحة الفعالة ، التي هي ملائكة الله ، وخالص عباده ، وهي الصورة المجردة من الهوى ، المستعملة للأجسام المدبرة بها ، لها ومنها أفعالها ، ومعرفة كيفية ارتباط بعضها ببعض ، وفويض بعضها على بعض ، وهي أفلاك روحانية محيطات بالأفلاك الجسمانية والثالث علم النفسانيات ، وهي معرفة النفوس والأرواح السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية ، من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض ، ومعرفة كيفية ادارتها للأفلاك ، وتحريكها للكواكب ، وتربيتها للحيوان والنبات ، وحلولها في جثث الحيوانات ، وكيفية انبعاثها بعد المات (المرجع السابق ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣) .

وأما العلوم السياسية (١) وهى (٢) خمسة أنواع : أولها سياسة النبوة (٣) الثانى (٤) السياسة الملوكية ، الثالث سياسة العامة (٥) ، الرابع سياسة الخاصة (٦) ، الخامس (٧) السياسة الذاتية . قالوا (٨) : أما سياسة النبوة (٩) فهى معرفة كيفية وضع النواميس المرضية والسنن الزكية بالاقساويل الفصيحة ، ومداواة النفوس المريضة من الديانات الفاسدة ، والآراء السخيفة ، والعادات (١٠) الردية ، والأفعال الجائزة (٧) ومعرفة كيفية نقلها من تلك الأديان والعادات (ص ١٤٥) ومحو تلك الآراء (١٢) عن مضاميرها (١٣) بذكر عيوبها (منه

(١) « وأما العلوم السياسية » وردت فى الرسائل « الرابع علم
السياسة » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٢) وردت فى الاصل « وهو » .

(٣) وردت فى الرسائل « السياسة النبوية » (الرسائل ، الجزء الاول ،
ص ٢٧٣) .

(٤) « الثانى » وردت فى الرسائل « والثانى » (المرجع السابق ،
ص ٢٧٣) .

(٥) وردت فى الرسائل « والثالث السياسة العامة » (المرجع السابق ،
ص ٢٧٣) .

(٦) وردت فى الرسائل « والرابع السياسة الخاصة » (المرجع
السابق ، ص ٢٧٣) .

(٧) وردت فى الرسائل « والخامس » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٨) « قالوا » لم ترد فى الرسائل .

(٩) « أما سياسة النبوة » وردت فى الرسائل ، فأما السياسة النبوية «
(المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(١٠) وردت فى الأصل « للعادات » .

(١١) وردت فى الاصل « الجائرة » .

(١٢) وردت فى الاصل « الا را » .

(١٣) « مضاميرها » وردت فى الرسائل « ضمائرهما » (الرسائل ، الجزء
الاول ، ص ٢٧٣) .

مزشاتها (١) ومداواتها من سقم تلك الآراء ، والم تلك العادات ومحوها بالحمية لها من العود اليها (٢) ، واشفائها (٣) بالرأى المرضى ، والعادات الجميلة ، والاخلاق المحمودة (٤) بالمدح لها والترغيب في جزيل الثواب يوم المآب (٥) ، وأما السياسة الملوكية فهي معرفة كيفية (٦) حفظ الشريعة على الأمة واحباء السنة في الملة ، بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باقامة الحدود ، وانفاذ الاحكام التي هي رسم صاحب الشرع (٧) ورد المظالم ، وقمع الاعداء وكف الاشرار ونصرة الاخيار . وهذه السياسة يختص (٨) بها خلفاء الانبياء صلوات الله عليهم والائمة (٩) المهديون الذين قضوا بالحق ، وبه كانوا يعدلون . وأما السياسة العامة التي هي الرياسات (١٠) على الجماعات

(١) « منه مزشاتها » هكذا وردت في الاصل ، أما في الرسائل فقد وردت « ونشر تزييفها » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٢) وردت هذه العبارة في الرسائل : « وتلك العادات بالحمية لها من العود اليها » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٣) وردت في الاصل « واشفائها » « ووردت في الرسائل » « وشفائها » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٤) جاء في الرسائل قبل « الاخلاق المحمودة » كلمتي « والأعمال الزكية » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٥) وجاء بعد « يوم المآب » في الرسائل ما يلي : « وكيفية سياسة النفوس الشريرة بصدودها عن قصد سبيل الرشاد ، وسلوكها في وعور طرق النفي والتمادي بالقمع لها والزجر والوعيد والتوبيخ والتهديد ، لترجع إلى سبيل النجاة ، وترغب في جزيل الثواب ، ومعرفة كيفية تنبيه الأنفس اللاهية والارواح الساهية من طول الرقاد ، ونسيانها ذكر المعاد ، والاذكار لها عهد يوم الميثاق لئلا يقولوا : ما جاءنا من رسول ولا كتاب . وهذه السياسة تختص بها الانبياء والرسل ، صلوات الله عليهم (المرجع السابق ، ص ١٧٣) .

(٦) لم ترد كلمة « كيفية » في الرسائل (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٧) وردت هذه العبارة في الرسائل « التي رسمها صاحب الشريعة » (المرجع السابق ، ص ٢٧٣) .

(٨) وردت في الاصل « تختص » ووردت في الرسائل « يختص » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .

(٩) وردت في الاصل « الائمة » .

(١٠) وردت في الرسائل « الرياسة » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٧٤) .

كرياسة الامراء على البلدان والمدن ورياسة قادة الجيوش على العساكر (١) وما شاكلها ، وهى (٢) معروفة (٣) وأما السياسة الخاصة ، فهى معرفة كل شخص (٤) كيفية تدبير منزله وأمر معيشته ومراعاة أمر خدمه وغلمايه وأولاده ومماليكه وأقربائه (٥) وعشيرته وجيرانه (٦) وصحبته مع اخوانه وقضاء (٧) حقوقهم ، وتفقد أسبابهم ، والنظر فى مصالحهم من أمور دنياهم وأمر آخرتهم (٨) وأما السياسة الذاتية ، فهى معرفة كل انسان نفسه وأخلاقه ، وتفقد (ص ١٤٦) أحواله وأفعاله وأقوابله (٩) فى حال شهواته وغضبه ورضاه ، والنظر فى جميع أموره (١٠) .

- (١) ورد قبل هذه العبارة فى الرسائل « ورياسة الدهاقين على أهل انقرى » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .
- (٢) وردت فى الرسائل « فهى » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .
- (٣) « معروفة » وردت فى الرسائل « معرفة » وجاء بعدها : طبقات الرؤوسين وحالاتهم وأسبابهم وصنائعهم ومذاهبهم وأخلاقهم ، وترتيب مراتبهم ، ومراعاة أمورهم وتفقد أسبابهم ، وتأليف شملهم ، والتناصف بينهم ، وجمع شتاتهم ، واستخدامهم فى ما يصلحون له من الامور ، واستعمالهم فى ما يشاكلهم من صنائعهم وأعمالهم اللائقة بواحد واحد منهم (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) ،
- (٤) وردت فى الاصل « فهى معروفة لكل شخص » ووردت فى الرسائل « (فهى معرفة كل انسان) (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .
- (٥) وردت فى الاصل « وأقرباء » ووردت فى الرسائل « وأقربائه » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .
- (٦) وردت فى الرسائل « وعشيرته مع جيرانه » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .
- (٧) وردت فى الاصل « وقضا » .
- الجزء الاول ، ص ٢٧٤) .
- (٨) وردت « وأمر آخرتهم » فى الرسائل « وآخرتهم » (الرسائل ، ص ٢٧٤) .
- (٩) وردت فى الرسائل « وتفقد أفعاله وأقوابله » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .

(١٠) لم يرد فى المخطوطة العلم الخامس الذى ورد فى الرسائل وهو « علم المعاد وهو معرفة ماهية النشأة الاخرى ، وكيفية انبعاث الارواح من ظلمة الاجساد ، وانتباه النفوس من طول الرقاد ، وحشرها يوم المعاد ، وقيامها على الصراط المستقيم وحشرها لحساب يوم الدين ، ومعرفة كيفية جزاء المحسنين وعقاب المسيئين » (المرجع السابق ، ص ٢٧٤) .

الباب الثامن والتسعون (١)

في بيان من يسهل عليه عمل صنعة وبالعكس (٢)

والسبب في ذلك أن الصناعة لا تتأتى (٣) للمولود إلا بدلالة كوكب متولى
البرج والعاشر (٤) من طالعه ، وذلك إذا (٥) استولى عليه من أحد الكواكب
الثلاثة واحد فلا بد من صنعة يتعلمها ، وهى (٦) المريخ والزهرة وعطارد ، وذلك
أن كل صناعة لا بد لها (٧) من حركة ونشاط وحذق (٨) فالحركة للمريخ ،
والنشاط للزهرة ، والحذق (٩) لعطارد ، وأربعة منها إذا انفرد (أحدها) (١٠)
بالدلالة فلا يعطى الصنعة ، ولكن عملاً ما يشاكله (١١) من الأعمال ، وهى الشمس
وزحل والمشتري والقمر ، وذلك أن من استولى في مولده (١٢) ، على درجة
العاشر (١٣) ، الشمس ، فهو لا يتعلم الصناعة لكبر نفسه مثل أولاد الملوك .

(١) ورد في الاصل « الباب الخامس والتسعون » .

(٢) اسم هذا الباب يقابل الفصل الذى حصصه الاخوان لبحث نفس
الفكرة وهو « فصل في قابلية الانسان الصنعة » (الرسائل ، الجزء الاول ،
ص ٢٩٠) .

(٣) وردت في الاصل « لا تتأتى » .

(٤) وردت في الرسائل « متول لبرج العاشر » (الرسائل ، الجزء الاول ،
ص ٢٩١) .

(٥) وردت في الرسائل « وذلك انه اذا » (المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

(٦) وردت في الاصل « وهو » .

(٧) « لا بد لها » وردت في الرسائل « فلا بد لها » (الرسائل الجزء
الاول ، ص ٢٩١) .

(٨) وردت في الاصل « وحذق » .

(٩) وردت في الاصل « والحذق » .

(١٠) لم ترد « أحدها » في الاصل ، ووردت في الرسائل ، وقد أضفناها
على النص ليستقيم المعنى .

(١١) « عملاً ما يشاكله » وردت في الرسائل « يدل على ما يشاكله »
(الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٩١) .

(١٢) « استولى في مولده » وردت في الرسائل « استولى عليه في مولده »
(المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

(١٣) « على درجة العاشر » وردت في الرسائل « على الدرجة العاشرة »
(المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

وأما من استولى عليه المشتري فهو لا يتعلم ولا يعمل لزهد^(١) وأما من استولى عليه زحل ، فانه لا يعمل^(٢) ولا يتعلم لكسله وثقل طبيعته عن الحركة ويرضى بالذل والهوان في طلب معاشه كالسؤال^(٣) وأما من استولى عليه القمر ، فانه لا يعمل من أجل مهنته ، واسترخاء^(٤) طبيعته وقلة فهمه ، مثل النساء وأمثالهن من الرجال ومن أجل هذا كان الحرانيون^(٥) الذين كانوا في قديم

(١) توجد زيادة في الرسائل لم ترد في المخطوطة بعد « لزهد » وهي ، وورعه ورضاه بقليل من أمور الدنيا ، واقباله على طلب الآخرة ، مثل الانبياء عليهم السلام ، ومن يقتدى بهم (المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

(٢) « لا يعلم » في الاصل ، ولكنها في الرسائل « لا يعمل » وهو أصح (المرجع السابق ص ٢٩١) .

(٣) معاشة كالسؤال « وردت في الرسائل » معاشه كالمكدين والسؤال « (المرجع السابق ص ٢٩١) .

(٤) وردت في الاصل « واسترخا » .

(٥) وردت في الرسائل اليونانيون (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٩١) والواقع أن العلاقة بين الحرانيين واليونانيين علاقة محل شك واختلاف . فحران هي موطن الصابئة الحرائية التي كانت المهمة الكبرى لفيلسوف الاسلام الاول الكندي ، كما كان لها اثر كبير في الفيلسوف محمد بن أبي بكر الرازي ويرى البعض أن الصابئة الحرائية كانت فرقة افلاطونية في الاصل ، ثم ذهبت الى التوفيق بين مختلف الفلاسفة - ويثور التساؤل حول الاصل العرقى للحرائية : هل هي بقايا يوناني حران ، أم هي سوريانية جنسا ولسانا عرف أهلها اللغة اليونانية وترجموا عنها الى السريانية . هذه الطائفة - كما يقول المسعودي - معروفة بالحرائية والصابئة الحرائية فلاسفة ، الا أن أهلها من حشوية الفلاسفة وعوامهم ، أو من عوام اليونانيين كما يقول المسعودي ، الذي يذكر في موضع آخر من كتابه « التنبيه والاشراف » انهم بقية صابئي المصريين ، حيث يقول « وصابئو المصريين الذين بقيتهم في هذا الوقت صابئة الحرائيين ثم يعود المسعودي مرة أخرى ليقابل بين ملوك الروم الصابئة وملوك الروم المنتصرة فهل صابئة حران هم روم أم يونان وهل هم مجموعة الفلاسفة اليونان الذين فروا الى فارس بعد تنصر الملوك ، ان دليلا آخر من المسعودي يثبت أن الصابئة الحرائية هم فلاسفة يدينون بالدين اليوناني القديم فيقول « ان يوليانوس ابن أخى قسطنطين كان يخفى الصابئة في أيام عمه وابن عمه . فلما ملك أظهرها واراد عن النصرانية ، وخرب الكنائس ، ورد التماثيل التي جعلها الصابئون مثلا للجواهر العلوية والاجسام السماوية التي هي وسائل بين العلة الاولى عندهم وبين الخليفة في العبادات . وقتل الانصارى =

الزمان ازدادوا تسليم الصبى الى صناعة من الصنائع (١) ، اختاروا له يوما من الايام ، وادخلوه في (٣) هيكل الصنائع (٢) ، بعد أن عرفوا ذلك من مولده (٤) عرضوا عليه الصنائع المصورة في ذلك الهيكل ، فما رغب في واحد منها (٥) بعد توفيقهم (ص ١٤٧) له على أحوال تلك الصناعة (٦) ، فسلموه اليها (٧) ولتعلم

= خلقا كثيرا ، وجعل عقوبة من لم يرتد الى الحنيفة القتل « . فالصابئة الحرائية هم الاتقياء المؤمنون بالدين اليونانى القديم « اوسيبوس » وكل من يعود الى الدين اليونانى والفلسفة اليونانية في أى صورة كانت ، هم صابئة وعلى مذهب عوام اليونانيين — ويعتبر المسعودى أن فورفوربوس الصورى على مذهب صابئة اليونانيين وكذلك أحد كهنة المصريين الذى كان ينصر الفلسفة الاولى التى عليها فيثاغورس وثاليس وغيرهما ، وهى مذهب صابئة المصريين والصابئة الحرائية — فيما يقول المؤرخون — موسيقيون ، ومشغولون بعلم الكيمياء وعلم الصبغة ، ويزاولون السحر والتنجيم ويرى اخوان الصفاء أن فيثاغورس « كان رجلا حكيما موحدا من آل حران » وعموما فان اخوان الصفاء والفارابى وغيرهم تأثروا بالحرائيين أو بالفلسفة الهرمسية (انظر : د. على سامى النشار ، نظرية جديدة فى المنحنى الشخصى لحياة الفارابى وفكره ، آفاق عربية العدد ١٢ ، ١٩٧٦ حيث أورد ما ذكره المسعودى فى كتابه « التنبيه والاشراف » حول الحرائية ص ١٠١ — ١٣٨ ، الرسائل الجزء الثالث ، ص ٢٠٠ ، وانظر عن علاقة اخوان الصفاء بالفلسفة الحرائية والهرمسية

(١) وردت فى الاصل « الصنائع » .

(٢) « ادخلوه فى » وردت فى الرسائل « ادخلوه الى » (الرسائل ، الجزء الاول ص ٢٩١) .

(٣) وردت فى الاصل « الصنائع » وقد جاء بعدها فى الرسائل « وصور سائر الكواكب ، وقربوا قربانا لصنم ذلك الكوكب الذى دل على صناعته ، وسلموه الى تلك الصناعة » (المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

(٤) « بعد أن عرفوا ذلك من مولده » ، وردت فى الرسائل « بعدما عرفوا ذلك من مولده » ، وان لم يكونوا عرفوه من مولده « (المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

(٥) « فما رغب فى واحد منها » وردت فى الرسائل « فان رغب فى واحدة منها » (المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

(٦) « تلك الصناعة » وردت فى الرسائل « تلك الصنعة » (المرجع السابق ص ٢٩١) .

(٧) « فسلموه اليها » وردت فى الرسائل « سلموه اليها » (المرجع السابق ، ص ٢٩١) .

ان (١) صناعة الآباء والاجداد انجع في الاولاد من صناعة الغرباء ، وخاصة من دل (٢) مولده عليها ، ويكونون فيها أحذق وأنجب (٣) ، ومن أجل هذا أوجبوا (٤) في سياسة اردشير (٥) بن بابكان على أهل كل طبقة من الناس لزوم صناعة آبائهم (٦) وأجدادهم (٧) وان لا يتجاوزوها ، وزعموا أن ذلك فرض عليهم (٨) من الله تعالى (٩) وأعلم أن (١٠) هذا كله صيانة للملك لئلا (١١) يرغب فيه من ليس من أهله لأنه اذا كثر الطالبون للملك كثر التنازع بينهم ، واذا كثر التنازع كثر الشغب ، واضطربت الامور ، وانفسد النظام ، وفساد النظام يتبعه البوار والبطلان .. واعلم (١٢) بأن الغرض من الملك هو حفظ الناموس على

(١) « والتعلم ان » وردت في الرسائل « واعلم يا أخى بأن » (المرجع السابق ص ٢٩١) .

(٢) « دل » وردت في الاصل « ذل » .

(٣) « احذق وانجب » وردت في الاصل « احد وانجب » .

(٤) « أوجبوا » وردت في الاصل « أوجبوا » .

(٥) « اردشير » وردت في الاصل « اردشير » .

(٦) آبائهم » وردت في الاصل « ابائهم » .

(٧) وأجدادهم » اضيف اليها في الرسائل لفظ « قطعاً » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٩٢) .

(٨) « فرض عليهم » وردت في الرسائل « فرض » (المرجع السابق ، ص ١٩٢) .

(٩) « من الله تعالى » وردت في الرسائل « من الله عز وجل » في كتاب زرادشت (المرجع السابق ص ٢٩٢) .

(١٠) « واعلم أن » وردت في الرسائل « واعلم بأن » (المرجع السابق ،

ص ٢٩٢) .

(١١) « لئلا » وردت في الاصل « ليلا » .

(١٢) « واعلم » وردت في الاصل « وليعلم » .

أهله لئلا(١) يندرس بتركهم القيام بأوجباته(٢) ، واعلم بأن الفرض في(٣) حفظ
الناموس هو طلب صلاح الدين والدنيا جميعا ، فمتى ترك القيام بواجباته
انفسدا(٤) جميعا ، وبطلت الحكمة ، ولكن السياسة الآلهية والعناية
الربانية لا تتركهما(٥) يفسدان(٦) .



(١) « لئلا » وردت في الاصل « ليلا » وردت في الرسائل « ان لا »

(٢) « لئلا » وردت في الاصل « ليلا » وردت في الرسائل « ان لا »
(الرسائل الجزء الاول ص ٢٩٢) .

(٣) توجد زيادة في الرسائل بعد « بموجباته » هي : لان اكثر اهل الشرائع
النبوية والفلسفية لولا خوف السلطان لتركوا الدخول تحت احكام الناموس
وحدوده وتأدية فرائضه ، واتباع سنته ، واجتناب محارمه ، واتباع اوامره
ونواهيه (المرجع السابق ، ص ٢٩٢) .

(٤) « في » وردت في الرسائل « من » (المرجع السابق ، ص ٢٩٢) .

(٥) « انفسدا » وردت في الاصل « يفسدا » .

(٦) « تتركهما » وردت في الاصل « تتركها » .

(٧) « يفسدان » وردت في الرسائل « يفسدان » وجاء بعدها زيادة
على ما في المخطيطة : لانها هي العلة الموجبة لوجودها وبقائها ونظامها
وتماها وكمالها ، وكل صورة في المصنوع فانها أولا تكوّن في فكر الصانع وعلمه
(الرسائل ، الجزء الاول . ص ٢٩٢) .

الباب التاسع والتسعون (١) في طلب الاخلاق السنية والقوانين المرضية (٢)

قال الفقير الى الله تعالى محمد بن منكلى نزيل رحمة الله : ينبغي لكل عاقل منا أن يكثر السؤال (٣) لله تعالى في اصلاح خلقه ، اذ هو اشرف العطايا واس القضايا ولولاه كذلك ما مدح الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله : « وأنت لعلى خلق عظيم » ، فيبدأ بما قاله القدماء (٤) الالهيون في وصف الاخلاق المرضية وضدها قالوا (٥) : أخلاق الناس وطبقاتهم تختلف من أربعة جهات (٦) : احدها من جهة اخلاط احسادهم ومزاج أبدانهم (٧) ، والثاني من جهة تراب (٨) بلدانهم واختلاف أهويتها ، والثالث من جهة نشوئهم على سنن (٩) ديانات آبائهم (١٠) — ومعلميهم (١١) ومن يربيهم ويؤدبهم ، والرابع من جهة موجبات أحكام النجوم

(١) ورد في الاصل (الباب السادس والتسعون) .
(٢) هذا الباب يقابل فصلين من فصول الرسائل هما « فصل في وجوه اختلاف الاخلاق » و « فصل في اختلاف الاخلاق من جهة الاخلاط » (الرسائل الجزء الاول ، ص ٢٩٩) .

(٣) « السؤال » في الاصل « السؤال » .
(٤) « القدماء » وردت في الاصل « القديما » .

(٥) من أول الباب حتى « قالوا » لم يرد بالرسائل ، وهو من وضع المؤلف .

(٦) وردت هذه الجملة في الرسائل « اعلم يا أخى أن أخلاق الناس وطبائعهم تختلف من أربعة وجوه (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٩٩) .

(٧) « ومزاج أبدانهم » وردت في الرسائل « ومزاج اخلاطها » (المرجع السابق ص ٢٩٩) .

(٨) « تراب » وردت في الرسائل « تربة » (المرجع السابق ، ص ٢٩٩) .

(٩) « سنن » لم ترد في الرسائل .

(١٠) « آبائهم » وردت في الاصل « آبايهم » .

(١١) « معلميهم » وردت في الاصل « ومعلمينهم » وردت في الرسائل « ومعلميهم وأساتذتهم » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٩٩) .

في أصول مواليدهم ، ومساقط نطفهم ، وهي الأصل والباقي فروعها (١) ، ويحتاج لشرح هذا القول (٢) . قالوا : ان (٣) المحرورى الطباع من الناس ، وخاصة مزاج القلب يكونون على الأمر الأكثر شجعان (٤) القلوب ، أسخياء (٥) النفوس ، متهورين في الأمور المخوفة ، قليلي الثبات والثأني (٦) ، مستعجلي الحركة ، شديدي الغضب سريعي المراجعة (٧) ، قليلي الحقد ، أذكياء (٨) ، حادى الخواطر ، جيدي النصور ، والمبرودين في الأمر الأكثر يكونون (٩) بليدي الذهن ، غليظي الطباع ، ثقيلي الأرواح غير نضيجي (١٠) الأخلاق ، والمرطوبين يكونون في أكثر الأمر لينى (١١) الجانب سمحاء (١٢) النفوس ، سهل القبول ، سريعي النسيان (١٣) واليابسى المزاج يكونون في أكثر الأمر صابرين في الأعمال ،

(١) « والباقي فروعها » وردت في الرسائل « وباقيها فروع عليها » (المرجع السابق ، ص ٢٩٩) .

(٢) « ويحتاج لشرح هذا القول » وردت في الرسائل « ويحتاج الى شرح هذا الباب » ووردت زيادة على ذلك ليتبين صدق ما قلنا ، وحقيقة ما وصفنا ، وتبدأ أولا بذكر العلل والاسباب التي تكون من جهة أخلاط الجسد وتغيرات أمزجتها من الاعتدال والزيادة والنقصان وما يتبعها من الأخلاق والسجايا المختلفة المتضادة (المرجع السابق ، ص ٢٩٩) .

(٣) « قالوا أن » وردت في الرسائل « اعلم يا أخى بأن » (المرجع السابق ، ص ٢٩٩) .

- (٤) شجعان « وردت في الأصل « شجعاع » .
- (٥) « أسخياء » وردت في الأصل « اسخيا » .
- (٦) « والثأني » وردت في الأصل « والثانى » .
- (٧) « المراجعة » وردت في الأصل « الراجعة » .
- (٨) « أذكباء » وردت في الأصل « أذكيا » ووردت في الرسائل « أذكياء النفوس » (الرسائل الجزء الاول ، ص ٢٩٩) .
- (٩) « يكونون » وردت في الأصل « يكونوا » .
- (١١) « لينى » وردت في الأصل « لبنى » .
- (١٠) « غير نضيجى » وردت في الأصل « فير فصيجى » .
- (١٢) « سمحاء » وردت في الأصل « سمحا » .

(١٣) وردت هذه الجملة بأكملها في الرسائل كما يلي : والمرطوبين يكونون في أكثر الأمر ذوى طباع بليدة وقلة ثبات في الأمور ، لينى الجانب ، سمحاء النفوس ، طيبى الأخلاق سهلى القبول ، سريعى النسيان مع كثرة تهور في الأمور الطبيعية (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٢٩٤) .

ثابنى الرأى ، عسرى القبول ، ويكون (١) الغالب عليهم الضبط والحقد والامساك والحفظ والبخل (٢) وليعلم (٣) أن الاخلاق كلها نوعان : أما مطبوعة فى جبلة النفوس مركوزة فيها ، وأما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها (٤) ،

الباب المائة (٥)

فى ذكرى الرتب (٦)

قالوا : ثم مرتبتان فوق الانسانية وهى مرتبة الحكمة وغوتها الرتبة الناموسية (ص ١٤٩) فأما رتبة الانسان فنقوله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » وأما التى (٧) فوق هذه مما قاله تعالى « ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما » (٨) ، وقال تعالى (٩) « أفمن كان ميتا فأحييناه

-
- (١) « ويكون » لم ترد فى الرسائل .
(٢) وردت هذه العبارة فى الرسائل « الغالب عليهم الصبر والحقد والبخل والامساك والحفظ » (المرجع السابق ، ص ٢٩٩) .
(٣) « وليعلم » لم ترد فى الرسائل .
(٤) وردت هذه الجملة الاخيرة من الباب بعد حوالى احدى عشر صفحة من الرسائل ضمن قول الاخوان « واذ قد تبين بما ذكرنا أن العلل الموجبة لاختلاف أخلاق النفوس والأسباب المؤدية اليها أربعة أنواع حسب ، كما قلنا فى أول الرسالة ، فنقول الآن : أن الاخلاق كلها نوعان ، أما مطبوعة فى جبلة النفوس مركوزة فيها ، وأما مكتسبة معتادة من جريان العادة وكثرة استعمالها ... » (المرجع السابق ، ص ٣١٠) .
(٥) ورد فى الاصل « الباب السابع والتسعون » .
(٦) ما ورد فى هذا الباب هو بضعة جمل مما ورد فى الفصل الذى اسماه الاخوان « فصل فى مراتب الانفس » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣١١ — ٣١٣) .

- (٧) « التى » وردت فى الاصل « الذى » .
(٨) وردت هذه الفقرة فى الرسائل كما يلى : وأما الرتبتان اللتان فوق رتبة الانسانية فهى مرتبة الحكمة وقوفها الناموسية ، وأما مرتبة الانسانية فهى التى ذكرها الله تعالى « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » وأما التى فوق هذه فما أشار اليه بقوله ولما بلغ أشده . (المرجع السابق ، ص ٣١١ — ٣١٢) .
(٩) وردت هذه العبارة فى الرسائل « يعنى الانسان احيينا نفسه بنور والترقى فى غايات نهاياتها ، والشوق اليها والرغبة فيها ، والحرص فى طلبها ، (المرجع السابق ، ص ٣١٢) .

وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها «
أى أحيينا نفسه بنور الهداية ، فهذه مرتبة نفوس المؤمنين العارفين . وأما التي
فوقها ، فمرتبة النفوس النبوية الواضعين للنواميس (١) الالهية واليهما الاشارة
بقوله تعالى (٢) « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

الباب الحادى بعد المائة (٣)

في بيان السياسة (٤)

قال محمد بن منكلى لطف الله تعالى به : أما الاجتهاد في السياسات
فلا يكاد يضبط ولا ينحصر لكثرة تعداده ، والسبب في ذلك أن الانسان العاقل
مجبول في نشأته على الاتيان بالسياسة ، فهو مجبول على دفع ما يضره
قسرا ، وهو مجتهد في استجلاب ما ينفعه حتما فلأجل ذلك قالوا (٥) المراد من
السياسة هو صلاح الموجودات وبقاؤها (٦) على أفضل الحالات وأتم الغايات —
وأما المنسوبة الى النفس الناطقة المختصة بها فهي (٧) شهوة العلوم
والمعارف والتحرر فيها والاستكثار فيها ، وشهوة الصنائع (٨) والاعمال والحقق

(١) « للنواميس » وردت في الرسائل « النواميس » (المرجع السابق ،
ص ٣١٢) .

(٢) « واليهما الاشارة بقوله تعالى » وردت في الرسائل « واليهما اشارة
بقوله جل ثناؤه » (المرجع السابق ، ص ٣١٢) .

(٣) وردت في الاصل « الباب الثامن والتسعون » .

(٤) ما ورد في هذا الباب مقتطفات من نصوص الرسائل من نهاية «فصل
في مراتب الانفس » ، وبداية ونهاية « فصل في اختلاف مناهج النفوس »
(الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣١٤ — ٣١٦) .

(٥) من أول الفصل حتى « قالوا » من وضع ابن منكلى ، وللأخوان
نص قريب منه في المعنى هو « كل هذه الخصال مركوزة في الجبلة ... وكل
ذلك معاونة من الطبيعة لنفوسها وتأييد لها باذن باريها على طلب مشتبهاتها
وانوصول الى منافعها ، والفرار من المضرة منها ... » (المرجع السابق ،
ص ٣١٣ — ٣١٤) .

(٦) « وبقاؤها » وردت في الاصل « وبقاوها » .

(٧) « فهي » وردت في الاصل « فهو » .

(٨) « الصنائع » وردت في الاصل « الصنائع » .

فيهما ، وشهوة العز والرفعة والقرقى في المعالي ، واحتمال الذل والمشقة من أجلها والفرح والسرور من وجدانها ، والحزن من فقدانها (١) .

وليعلم أن (٢) هذه الخصال مركوزة في جبلة الانسان ، ولكن تختلف اختيارات الناس (٣) لها بحسب ما يتيسر له (٤) (وتتأكد أسبابه ، وذلك أن من الناس من تيسر له) (٥) أسباب الصنائع (٦) والحرف ، وآخر (٧) أسباب العلوم والآداب (ص ١٥٠) وآخر أسباب (٨) العمل والتصرف ، وآخر أسباب

(١) وقد وردت الفقرتان الاخيرتان من هذا النص في الرسائل كما يلي :
« واعلم يا أخى بأن المراد من السياسة هو صلاح الموجودات وبقاؤها على أفضل الحالات ووأتم الغايات كما سنبين في فصل آخر . وأما المنسوبة الى النفس الناطقة » (ويلاحظ أن الاحوال ذكروا قبل ذلك في الرسائل الخصال المنسوبة للنفس النباتية والنفس الحيوانية وهو ما لم يرد في المخطوطة . ولذا نجد أن قول ابن منكل « وأما المنسوبة » يفيد أن هناك أمورا منسوبة لنفوس أخرى لم ترد في المخطوطة) المختصة بها زيادة على ما تقدم ذكره ، فهي شهوة العلوم والمعارف والتبحر والاستكثار منها ، وشهوة الصنائع والاعمال والحدق فيها والافتخار بها ، وشهوة العز والرفعة واحتمال الذل والمشقة من أجلها ، والفرح والسرور من وجدانها ، واللذة والراحة عند الوصول اليها ، والغم والحزن من فقدانها (الرسائل الجزء الاول ، ص ٣١٤ - ٣١٥) .

(٢) « وليعلم أن » وردت في الرسائل « واعلم يا أخى بأن » وذلك في بداية فصل في اختلاف مناهج النفوس (المرجع السابق ، ص ٣١٥) .

(٣) « اختيارات الناس » وردت في الرسائل « اختيارات كل واحد » (المرجع السابق ص ٣١٥) .

(٤) « يتيسر له » وردت في الرسائل « تيسر له » (المرجع السابق ،

(٥) ما بين القوسين أضفناه من نص الرسائل لكي يستقيم المعنى .

(٦) « الصنائع » وردت في الاصل « الصنائع » .

(٧) « وآخر » وردت في الاصل « وآخر » .

(٨) « وآخر أسباب » وردت في الرسائل « وآخر تيسر له أسباب » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣١٥) .

الحكم والمعارف (١) . فهذا (٢) تفصيل جملة ما ينسب الى كل جنس من النفوس والمخصوص بها من الشهوات المركوزة فيها فأما التي (٣) تعميها كلها فشهوة البقاء على أتم الحالات وكراهية الفناء (٤) .

الباب الثاني بعد المائة (٥)

في بيان الناموس

قال مؤلف هذا المختصر محمد بن منكلي : اذا كان معنى الناموس عندهم هو مملكة روحانية ، فانه لا يكاد ينضبط ولا يضبط ، لأنه مفاض من الوجود الالهي ، فاذا كان كذلك فلا ينضبط ، واذا قيل هو مملكة روحانية ، فاقضى أن يكون مخصوصا بمخصصين (٦) ، والدليل عليه أننا نرى الملوك (٧) يتفاوتون في قضية النواميس ، فمنهم المقصر ، ومنهم المجتهد ، ومنهم الموغل فيها البارع في نفوذها (٨) . هذا آخر ما قاله القن غفر الله له (٩) . قال المجريطي (١٠)

(١) ورد قبل هذه العبارة في الرسائل ... أسباب العمل والتصرف وآخر أسباب التجارات والبيع والشراء ، وآخر الملك السلطان ، وآخر أسباب البطالة والفراغ ، وآخر أسباب الحكم والمعارف (المرجع السابق ، ص ٣١٥) .

(٢) « فهذا » وردت في الاصل « وآما » ووردت في الرسائل « فهذا » وهو أصح .

(٣) تعميها وردت في الاصل يعملها .

(٤) وردت في الرسائل بعد ذلك « والنقص عن الحال الافضل والاكمل » (المرجع السابق ، ص ٣١٦) .

(٥) وردت في الاصل « الباب التاسع والتسعون » .

(٦) « بمخصصين » وردت في الاصل « بمخصصين » .

(٧) « أننا نرى الملوك » وردت في الاصل « انا نرى من الملوك » .

(٨) « نفاذا » وردت في الاصل « نفاذا » .

(٩) يبدو أن ابن منكلي يشير الى نفسه بلفظ « القن » وهو أسلوب شائع عند الصوفية بصفة خاصة حيث يعبر الكاتب أو المؤلف أو الناسخ عن نفسه بمثل هذا اللفظ « كالفقير » أو « الحقير » للتعبير عن التواضع .

(١٠) « المجريطي » وردت في الاصل « المرجيطي » ويلاحظ هنا أن ابن منكلي يشير الى « رسالة » للمجريطي وليست « رسائل » .

في رسالته رحمة الله : اذا عرفت (١) أن الناموس مملكة روحانية ، فان (٢) وجوده وقوامه في حفظ أركانه الثمانية ، وأن حافظي أركانه هم اتباع صاحب الناموس (٣) وهم ثمانية أصناف ، كل صنف منهم كأنهم صف (٤) قيام حاملون ركننا من أركان الناموس فالأول منهم ، قراء تنزيله وحفاظ ألفاظه ، يعلمونها لمن بعدهم من ذراريهم (٥) ، لئلا ينسى وتدرس معالم الدين ، وتبطل أحكام الناموس (٦) . الصنف الثاني هم رواة الاخبار ، وناقلوا الاحاديث النبوية ، وحافظوا سر النبوة ، ومؤدوها الى من بعدهم ، كي لا تجهل فتنسى آثاره ، وتموت أخباره فلا تعرف (٧) ، الصنف الثالث ، هم فقهاء (٧) أحكام (ص ١٥١)

(١) « اذا عرفت » وردت في الرسائل « وعرفت » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣٢٢) .

(٢) « فان » وردت في الرسائل « وأن » (المرجع السابق ، ص ٣٢٢) .

(٣) « وان حافظي أركانه هم اتباع صاحب الناموس » وردت في الرسائل « وتبينت بأن أركانه الذين هو اتباع صاحب الناموس وانصاره (المرجع السابق ، ص ٣٢٢) .

(٤) صف « وردت في الرسائل « صنف » .

(٥) « ذراريهم » وردت في الاصل « درارهم » .

(٦) وردت هذه الجملة في الرسائل كما يلي : « فأول الاصناف هم القراء تنزيله وكتبه ، وحفاظ ألفاظه على رسومها ، ومعلموها لمن بعدهم من ذراريهم ، ليؤدوا الى من بعدهم من اتباعهم ما أخذوا عن قبلهم ، كل ذلك لكيلا يجهلها من يجيء من بعدهم وتنسى فتندرس معالم الدين ، وتضمحل وتبطل أحكام الناموس (الرسائل الجزء الاول ، ص ٣٢٢) .

(٧) وردت هذه الجملة في الرسائل كما يلي : « والصنف الثاني هم رواة الى آخرهم ، كيلا يجهل وينسى فتندرس آثاره ، وتموت أخباره فلا تعرف » أخباره وناقلوا أحاديثه ، وحافظوا سيره ، ومؤدوها الى من بعدهم ، ليبغوها (المرجع السابق ، ص ٣٢٢) .

(٨) « فقهاء » وردت في الاصل « فقها » .

الناموس ، وعلماء سننه (١) وحفاظ حدوده (٢) كى لا تجهل فلا (٣) تستعمل
أو تنسى فتدرس (٤) معالم الدين ، وتضمحل فيبطل (٥) الناموس . الصنف (٦)
الرابع هم المفسرون الفاظ تنزيله الظاهرة ، وأقاويله المروية (٧) . الصنف
الخامس هم أنصار المجاهدين ، وغزاة أعدائه (٨) ، الحافظون ثغور بلاد اتباع
الناموس ، كيلا يغلب عليهم أعداؤهم (٩) ، فيفسد عليهم أمرهم (١٠) . الصنف
السادس هم خلفاء (١١) صاحب الناموس في أمره (١٢) ورؤساء أصحابه

(١) « سته » وردت في الرسائل « سننه » (الرسائل ، الجزء الاول ،
ص ٣٢٢) .

(٢) « حدوده » وردت في الاصل « جنوده » .

(٣) « فلا » وردت في الاصل « ولا » .

(٤) « فتدرس » وردت في الرسائل « فتدرس » (الرسائل ، الجزء
الاول ، ص ٣٢٢) .

(٥) « فيبطل » وردت في الرسائل « ويبطل » (المرجع السابق ،
ص ٣٢٢) .

(٦) « الصنف » وردت في الرسائل « والصنف » (المرجع السابق ،
ص ٣٢٢) .

(٧) « وأقاويله المروية » جاء بعدها في الرسائل : « والمعبرون عن
وجوه معانيه المختلفة لمن قصر فهمه عنها ، وقلت معرفته بها ، كل
ذلك كيلا يجهلها من يجيء من بعدهم من ذرائعهم واتباعهم في أحكام
الناموس ، أو تنسى فتدرس معالم الدين ، وتضمحل وتبطل أحكام الناموس »
(المرجع السابق ، ص ٣٢٢) .

(٨) أعدائه « وردت في الاصل « وأعداويه » .

(٩) « أعداؤهم » وردت في الاصل « أعداؤهم » .

(١٠) وردت هذه الجملة في الرسائل كما يلي : « والصنف الخامس هم
أنصاره المجاهدون وغزاة أعدائه » الحافظون ثغور بلاد اتباع صاحب الناموس
وأصاره ، كيلا يغلب عليها أعداؤهم ويفسد أمر دينهم عليهم ، كما فعلت
يخت نصر بآلبياء في هيكل بنى إسرائيل ، وهو بيت المقدس ، وكما فعلت
الروم بثغور المسلمين » (الرسائل الجزء الاول ص ٣٢٣) .

(١١) « خلفاء » وردت في الاصل « خلفا » .

(١٢) « في أمره » وردت في الرسائل « في أمته » (الرسائل الجزء الاول ،
ص ٣٢٣) .

الحارسون(١) شريعته على أمته بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، المانعون لهم أن يسيروا بغيره سيرة الناموس(٢) كيلا يخرج خارجى سرا أو علانية ، فيبطل (٣) أحكام الناموس بتمويه يورده على قلوب العامة (٤) الصنف السابع هم الزهاد والعباد فى المساجد(٥) ، والخطباء على المنابر الواعظون الناس ، المحذرون(٦) لهم ترك استعمال الناموس(٧) ، المشرووقون الى نعيم الآخرة ، المقرون بها ، كل ذلك مثلا(٨) ينسى أمر ذلك المعاد ، ولا ينسى ذكر الآخرة،

(١) « ورؤساء أصحابه الحارسون » وردت فى الرسائل « ورؤساء الجماعات والحارسون » (المرجع السابق ، ص ٣٢٣) .

(٢) « الناموس » ورد بعدها فى الرسائل « الحافظون أطراف المملكة » (المرجع السابق ، ص ٣٢٣) .

(٣) « فيبطل » وردت فى الرسائل « فيفسد » (المرجع السابق ، ص ٣٢٣) .

(٤) « بتمويه يورده على قلوب العامة » وردت فى الرسائل « بتمويهه وزوره على قلوب العامة والجهال كما فعل مزدك الحزمى فى مملكة قباد ملك الفرس » (المرجع السابق ، ص ٣٢٣) ،

(٥) « فى المساجد » ورد بعدها فى الرسائل « وانهبان والقوام فى الهياكل » (المرجع السابق ، ص ٣٢٣) .

(٦) « المحذرون » وردت فى الاصل « المحذرون » .

(٧) « المحذرون لهم ترك استعمال الناموس » وردت فى الرسائل « المحذرون لهم من ترك استعمال أحكام الناموس ، الذامون أمور الدنيا ، المحذرون لهم من الاغترار بأمانيتها المزهدون للمتهمكين فى الشهوات ، المذكرون أمر المعاد وأحوال القيامة للغافلين عنها ، المشوقون ... » (الرسائل الجزء الاول ، ص ٢٢٣) .

(٨) « لئلا » وردت فى الاصل « ليلا » وقد وردت هذه الجملة فى الرسائل « كل ذلك كيلا يجهل أمر المعاد ، ولا ينسى ذكر الآخرة ، والاستعداد للرحلة اليها ، والتزود من الدنيا بالتقوى الذى هو خير الزاد » (المرجع السابق ص ٣٢٣) .

وهذا هو (١) الغرض الاقصى (٢) في وضع النواميس الالهية (٣) . الصنف الثامن (٤) ، هم علماء (٥) تأويل تنزيله ، الراسخون (٦) في العلوم الالهية والمعارف الربانية ، العارفون خفيات أسرار الناموس ، الذين هم الائمة المهديون (٧) ، رضى الله عنهم أجمعين (٨) .

(١) « وهذا هو » وردت في الاصل « وهو هو » وردت في الرسائل « اذا كان هذا هو » (المرجع السابق ص ٣٢٣) .

(٢) « الاقصى » وردت في الاصل « الاقصا » وقد وردت الجملة في الرسائل « الغرض الاقصى في وضع الناموس الالهى ، والغاية والمطلب من الرياضيات الفلسفية » (المرجع السابق ، ص ٣٢٣) .

(٣) وردت بعد « الالهية » في الاصل عبارة لا معنى لها هي « المعارف الربانية العارفون خفيات أسرار النواميس » .

(٤) « الصنف الثامن » وردت في الرسائل « والصنف الثامن » (الرسائل الجزء الاول ، ص ٣٢٣) .

(٥) « علماء وردت في الاصل « علما » .

(٦) « الراسخون » وردت في الرسائل « والراسخون » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣٢٣) .

(٧) « الذين هم الائمة المهديون » وردت في الاصل « الذين هم الائمة المهديين » .

(٨) وردت هذه العبارة في الرسائل « والخلفاء انراشدون ، الذين يقضون بانحق وبه يعدلون » (الرسائل ، الجزء الاول ، ص ٣٢٣) .

مراجع البحث

- ١ — ابن اللوسى ، محاكمة الاحمدين ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٩٨ هـ .
- ٢ — ابن بشكوال ، الصلة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٣ — ابن حجر العسقلانى ، لسان الميزان ، حيدر آباد ١٣٣١ هـ .
- ٤ — ابن خلدون ، المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٣ .
- ٥ — ابن منكلى ، الاحكام الملوكية والضوابط الناموسية ، مخطوطة ، دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٢٣ ، فروسية — تيمور .
- ٦ — أحمد أمين ، مبادئ الفلسفة « تعريب » ، القاهرة .
- ٧ — الجيلانى ، توفيق التطبيق فى اثبات أن الشيخ الرئيسى من الامامية الاثنى عشرية تحقيق د. محمد مصطفى حلمى ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبي القاهرة ١٩٥٤ .
- ٨ — الرسالة الجامعة ، تحقيق جميل صليبا ، المجمع العلمى العربى بدمشق ، دمشق ١٩٤٨ .
- ٩ — القفطى ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٦ هـ .
- ١٠ — الكرمانى ، راحة العقل ، تحقيق د. محمد مصطفى حلمى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٥٢ .
- ١١ — المحبى ، خلاصة الاثر ، تحقيق مصطفى وهبى ، المطبعة الوهبية ، القاهرة ١٣٧٦ هـ .
- ١٢ — حاجى خليفة ، كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون ، تصحيح محمد شرف الدين يالتقايا ورعت بليكة الكليس ، وكالة المعارف الجليلة ، القاهرة ١٩٤١ — ١٩٤٣ .
- ١٣ — رسائل اخوان الصفاء ، القاهرة ١٩٢٨ .
- ١٤ — رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ١٩٥٧ .

- ١٥ — صاعد الاندلس ، التعريف بطبقات الامم ، القاهرة .
- ١٦ — د. عبد الرحمن بدوي ، الاصول اليونانية للنظريات السياسية للاسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٤
- ١٧ — د. على سامى النشار ، نظرية جديدة فى المنحنى الشخصى لحياة الفارابى وفكره ، مجلة « آفاق عربية » العدد ١٢ ، بغداد ١٩٧٦ م .
- ١٨ — عمر النسوقى ، اخوان الصفاء ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٣
- ١٩ — الآباء لوييس معلوف و خليل اده ولويس شيخو ، مقالات فلسفية قديمة لبعض فلاسفة العرب مسلمين ونصارى ، مجلة المشرق ، بيروت ١٩١١
- ٢٠ — د. محمد فريد حجاب ، الفلسفة السياسية عند اخوان الصفاء — دراسة فى الفكر الاسلامى رسالة دكتوراه « لم تنشر بعد » ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٧٦
- ٢١ — الاب ميخائيل الجميل ، المجريطى ونظريته فى الطبيعيات ، مجلة « آفاق عربية » ، بغداد عدد يوليو ١٩٧٦

D. M. Dunlop, Al-Farabi, Fusul-Al Madani, Cambridge 1961

Weidemann, Migriti, Encyclopedie de l'Eslam

Yves Marquet, la philosophie des Ikhwan Safa, Alger 1979.

